أمور مُغيظة

إلى آني كنفاني، الدانمركية الفلسطينية

لا تَنْدرج الصفحاتُ التالية تحت عنوانٍ مُقْنِع جدّاً، ولا حتى تحت مقولة الشهيد مهدي عامل «نقد الفكر اليومي.» إنّها، فحسب، تحليلٌ لشتاتٍ من أخبارٍ تَبْعث على الغيظ. وربّما كان التنفيسُ عنها مَجْلبةً لبعضِ الراحة، ومحاولةً للاقتراب من الحقيقة.

I ـ التدخُّل الأميركي في لبنان. تُصِرُّ «قوى ١٤ آذار» على رفض الاعتراف بوجود تدخُّلٍ أميركي في الشؤون اللبنانية. لن نكرِّر الحديثَ عن «زيارات» السفير الأميركي المتواصلة إلى معظم «المراجع» السياسية في البلد؛ ولا عن ضغطه لإجراء الانتخابات النيابية «في وقتها» وبموجب قانونٍ انتخابيٍّ كان أكثرُ اللبنانيين يَرفضونه؛ ولا عن صفاقة السفارة الأميركية تجاه جريدة السفير؛ ولا عن اعتراضها على تعيين وزيرٍ أو مديرٍ عامٍّ شيعيَّيْن. فكلُّ هذه الأمور نقرأُ عنها يوميّاً، ولم يعد مُجْدِيًا أن يُنْكرَها أحد.

ما سأقْتصر عليه هو العودةُ إلى أساس «روح ١٤ آذار،» وأعني التظاهرات التي واكبت «استقلالَ» لبنان عن سورية. ودافعي إلى ذلك هو الغيابُ شبهُ المطلق للحديث عن الأثر الأميركي (الحكومي أو غيرِ الحكومي) في تلك التظاهرات، بما يتعدّى الاتّهامات «المؤامراتيةَ» السطحية. فالحال أنّ هناك مقالاتٍ متناثرةً ظَهَرَتْ عن هذا الموضوع في الدوريات والمواقع الغربية عامةً، ولكنّنا لا نجد إلاّ أثرًا نادرًا لها في الصحف اللبنانية. أيَكون مردُّ ذلك إلى ما يُحكى عن تدفُّق الأموالِ الحريرية الجديدة على الجرائد اللبنانية؟ أمْ إلى كسلنا، نحن «المثقفين» اللبنانيين، عن متابعة الدوريات والمواقع الإلكترونية الغربية؟

أيّاً يكن الجواب فإنّنا، بتقديمنا هنا حصيلةً سريعةً لبعضِ ما قرأناه مؤخَّرًا عن الأثر الأميركي المذكور، لا نَبْغي التقليلَ من إخلاصِ كثيرٍ من الناس الذين اندفعوا إلى الشارع طلبًا للحقيقة (الحقيقة الحقيقية) في جريمة اغتيال الرئيس الحريري أو تبَرُّمًا بالممارسات السلطوية السورية في لبنان، وإنّما فَتْحَ العيون على ما تمّ ـ في موازاة ذلك ـ من فَتْحٍ للبلاد أمام أخبث أنواعِ التدخُّلات الأجنبية غيرِ البريئة.

أ ـ كَتَبَ نايلز لايْثم في نيويورك پوست: «مصادرُ من المخابرات الأميركية أَخبرت النيويورك پوست أنّ الـ CIA ومخابرات أوروبية تُعطي ـ بهدوءٍ [على اللَّسّ] ـ المالَ والدعمَ اللوجستيَّ لمنظِّمي التظاهرات المعادية لسورية، من أجل تصعيد الضغط على الرئيس السوري بشّار الأسد لمغادرة لبنان كليّاً. وقالت المصادر إنّ هذا البرنامج السِّرّي مُشابهٌ لدعمٍ سابقٍ قُدِّم إلى الحرَكات الموالية للديموقراطية في جورجيا وأوكرانيا...»[١]

ب ـ كَتَبتْ تريش شُوهْ في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٥[٢] عمّا أَسْمتْه demon-strations (تظاهرات الأبلسة أو الشَيْطنة الموجَّهة ضدّ سوريا) في لبنان، فقالت: «لقد دَرَّبَ ديبلوماسيون أميركيون طليعةً من الشباب اللبنانيين الأغرار على تكتيكات وكالة المخابرات المركزية الأميركية، المعروفة بـ Triple U (اليُو المثلَّثة) Uncontrollable Urban Unrest [الاضطراب المديني العصيّ على السيطرة]. وكَشَفتْ مصادرُ المعارضة[٣] أنّ تجمُّعًا في وسط بيروت مُؤلَّفًا من ٣٠٠٠ ناشط

(التتمة ص ٨٧ ـ ٩٦)

سماح إدريس

١ ـ NYP, March 8, 2005.

٢ ـ Trish Schuh, Counterpunch, Dec. 18, 2005.

٣ ـ المقصود: «الأكثرية» الحاكمة اليوم. (س. إ)

أمورٌ مُغيظة

معظمُهم مسيحيون يحتجّون صارخين 'سوريا برّا'! قد تمّ تنظيمُه من قِبل السفارةِ الأميركية في بيروت.» وفي هذا السياق تُورِد تريش شُوه ما ذكرتْه وكالةُ الأسوشياتد برس في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٤ من مناشدة أحد المتظاهرين الرئيسَ الأميركيَّ بوش «مساعدتَنا لإنقاذ لبنان،» وكيف أنّ متظاهراً آخر (لعلّه من التجمُّع السفارتي أعلاه) كان متنكّرًا بزيّ أسامة بن لادن وعلى صدره عبارةُ «الإرهاب السوري.»

وتَذْهب الكاتبةُ نفسُها إلى أنّ السفير الأميركي دجيفري فيلتمان كان قد عَقَد اتفاقًا أتاحَ للمتظاهرين إعدادَ «بروفا» الثورة القادمة من دون أن تتعرّضَ قواتُ مكافحة الشَّغَب اللبنانية لهم. وتَكْشف شُوهْ أنّ السفير فيلتمان قريبٌ جداً من آرييل شارون وكارل روف، وأنّه على ارتباط بالمكتب السرّي التابع لوزارة الدفاع الأميركية والمسمّى «مكتب الخطط الخاصة» Office of Special Plans الذي فَبْرَكَ «برهانًا» مخابراتيّاً كاذبًا عن تصاعُد «غيمة فطْرٍ» mushroom cloud من مصانعَ نووية عراقيّةٍ لتبرير الهجومِ على العراق.

ج ـ غير أنّ الأخبث من التدخُّل الرسمي (والسفاراتي) الأميركي في دعم انتفاضة الاستقلال (أو ما تسمِّيه پاولا دوبريانْسكي، مساعدةُ وزيرة الخارجية الأميركية، «ثورةَ الأرز،» ويَتْبعَهُا في ذلك «المرشَّحُ الرئاسيُّ» اللبنانيُّ شبلي الملاّط) إنّما هو الدعمُ غيرُ الحكومي. وسنركّزُ هنا على دور منظمة «غير حكومية» أميركية واحدة هي Spirit of America في دعم التظاهرات اللبنانية في ساحةِ الشهداء قبل أقلّ من عام.

تقول منظمةُ «روح أميركا» على موقعها الإلكتروني[١] إنّها تأسّستْ «في أعقابِ أحداث ١١ أيلول الإرهابية» لمساعدة «مَنْ يَدْفعون قُدُمًا بالحرية والديموقراطية والسلام في الخارج... على خطوط المواجهة،» أكانوا جنودًا أميركيين في العراق وأفغانستان، أمْ طواقمَ مدنيّة، أمْ أشخاصًا «يَطْلبون المساعدةَ من الأميركيين في نضالهم من أجل الحرية والديموقراطية.» وفي المجال الأخير تَفْتخرُ «روحُ أميركا» بأنّها أَسْهمتْ في شراءِ محطّات تلفزة عراقية من أجل تأسيس «بديلٍ أفضل من قناة الجزيرة.» كما تَفْتخر أيضًا بأنّها «قدّمت الدعمَ إلى المتظاهرين المؤيِّدين للديموقراطية في بيروت (لبنان) من أجل مسيرتهم نحو الديموقراطية،» فأنشأتْ موقعًا إلكترونيّاً لجمعِ التبرُّعات لهم. وتؤكّد تريش شُوهْ أنّ «روح أميركا» هي التي خَلَقتْ مَوْقعَ «نَبْض الحرية» الإلكترونيَ، وقدّمتْ للمتظاهرين «ساعةَ

←

«نبض الحرية» بتمويلٍ من «روح أميركا»!

١ ـ www.spiritofamerica.net/site/mission، بتاريخ ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٤.

الحرية» الإلكترونية الضخمة، فضلاً عن بعض الطعام والحاجيّات الأخرى. وهذا ما تؤكّده أيضًا ماري ماديجان.[١] وتَذْكر ريم غزال من جريدة الدايلي ستار اللبنانية الناطقة بالإنجليزية أنّ التبرُّعات على الموقع لتحقيق ذلك الغرض وصَلَتْ إلى ستين ألف دولار، وكلُّها من أموال المتبرِّعين الأميركيين في القطاع غير الحكومي.[٢]

غير أنّ المتظاهرين، على ما تورد غزال، رَفَضوا التبرُّعات الأميركيةَ. وقال سعد غرز الدين باسم «حركة المجتمع المدني» المسؤولة عن تزويد المخيّم الاحتجاجي باللوازم الأساسية: «شكراً جزيلاً لكم، ولكنّنا لا نَقْبل المعونةَ من مصادر خارجية.»[٣] كما رَفَضَ أحدُ منظّمي «حركة المجتمع المدني،» وهو من آل أبو شرف، أخذَ «ليرةٍ واحدةٍ أو دولارٍ واحدٍ» من «روح أميركا» أو غيرها من المنظّمات الخارجية.

غير أنّ «روح أميركا،» يا سادة يا كرام، قَدّمتْ روايةً أخرى لما جرى! فقد نَشَرَ جيم هايْك، وهو رجلُ أعمال أميركي ومؤسِّسُ «روح أميركا،» خبراً في اليوم التالي (٢٢ نيسان ٢٠٠٥) تعليقًا على تقرير غزال، جاء فيه: «لمعلوماتكم، فإنّ مساعدة منظمة روح أميركا لم تُرْفضْ. بل لقد قيل لنا إنّ المساعدة لا تُقدَّر بثمن وإنّها مهمّة جدّاً جدّاً.» كما تطوَّع هايْك بتبرير موقف المتظاهرين «الرافض» للمساعدات، فقال بنبرةٍ متعالية: «إنّ الوضع في لبنان حسّاسٌ جدّاً... ونحن ليست لدينا الحاجةُ ولا الرغبةُ في إيراد ما يقوله الناسُ [اللبنانيون] بشكلٍ مباشر. ونحنُ (روح أميركا) لسنا في حاجةٍ إلى نَيْلِ الفَضْلِ عن العمل المقدَّم. غير أنّ المساعدة تقدَّم فعلاً إلى مَنْ يقيِّمونها تقييمًا عاليًا جدّاً.»[٤]

كما استغربت الناطقةُ باسم «روح أميركا» السيدة شيري لاپان ردَّ فعلِ المتظاهرين اللبنانيين (يبدو أنّ بعضَهم «متظاهرٌ» حقّاً، أيْ مُدَّعٍ ومنافق)، فقالت إنّهم وافقوا على قبول المال، بل أكّدتْ أنّ الأموال «تُحوَّلُ إليهم في هذه اللحظة بالذات، فيما أنا أتحدّثُ.» وخَتَمتْ تصريحَها بالقول: «قد لا يَعْلم الواحدُ، أو الواحدةُ، في الخيْمة [في ساحة الشهداء]، أنّ السندويشَ التي يأكلها، أو تأكلها، قد تمّ شراؤها بأموالٍ من منظمة روح أميركا!»[٥]

مَنْ نصدِّق يا ترى: سعد غرز الدين ونبيل أبو شرف، أمْ مؤسِّس «روح أميركا» (جيم هايْك) والناطقة باسمها (شيري لاپان)؟

أنا شخصيّاً أميلُ إلى تصديق الأخيريْن. ويعزِّز رأيي ما ذَكَره السيِّد دايڤيد آندرز في ١٦ نيسان (أبريل) ٢٠٠٥ حين أكّد أنّ «روح أميركا» (وهي كما يقول «منظمةٌ غيرُ حكومية وغيرُ حزبية تساعد على تمويل المخيّم») قد أَرْسلت المدعوَّ مايْكل توتنْ Michael Totten (٣٤ عامًا) إلى ساحة الشهداء. والبارز أنّ توتنْ هذا لا يكتفي بتمويل المخيّم، بل يحرِّض ضد قسمٍ من اللبنانيين؛ فهو يقول مثلاً إنّ «الشطر [الموالي] لحزب اللّه من الشعب اللبناني ليس مهتمّاً جدّاً بالوفاق الوطني [!]»[٦]

---

١ ـ Mary Madigan, www.deanesmay.com/posts/1113937528.shtml.

٢ـ٣ ـ Rym Ghazal, **The Daily Star**, April 21, 2005.

٤ ـ www.spiritofamerica.net/site/blog/Mock_Election، بتاريخ ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٥.

٥ ـ Rym Ghazal, opcit.

٦ ـ David Enders, www.motherjones.com/news/update/2005/04lebanon.html

وعلى كلّ حال، فحتّى لو حَصَلَ أنّ التبرُّعات التي جَمَعها مَوْقعُ المنظّمة الإلكتروني لم تُحوَّلْ إلى المتظاهرين اللبنانيين، فلماذا لم يَعْمد السيِّدان غرز الدين وأبو شرف إلى رفع دعوى ضدّ «روح أميركا» بتهمة الافتراء والقذف والتشهير وتشويه سمعة انتفاضة الاستقلال؟ أَوَيكفي نفيُ الخبر والتّباهي بالنّزاهة («نَرْفض أخذ ليرة واحدة») لرفع الشُّبهة؟

هنا لا ضَيْر، بالمناسبة، من تسجيل إيجابيةٍ واحدةٍ في ذلك «النفي،» صَحَّ أمْ لم يصحّ. وهي أنّ الشعب اللبناني الذي يستمع إلى غرز الدين وأبو شرف ما يزال يَنْظر بعين الشكّ والريبة والتوجّس إلى التمويل الأجنبي... وخاصةً حين يكون موجَّهًا إلى أهدافٍ استقلاليةٍ أو وطنية.

قبل الانتهاء من هذا الموضوع (مع الوعد بالعودة إليه في عدد آخر حالَ توفُّرِ المزيد من المعلومات)، أُحبُّ أن أوردَ أخباراً إضافيةً عن «روح أميركا» ذَكرتْها تريش شُوهْ، ونَضَعُها ههُنا بتصرُّف القارئ أملاً في أن يَعْمدَ بنفسه إلى تقصِّيها. وأهمُّ هذه الأخبار أنّ مستشار المنظمة المذكورة، وهو السفير مارك پالمر، قد ساعَدَ الحكومةَ الأميركيةَ على إضعاف سلوبودان ميلوسوڤيتش ومعمّر القذّافي؛ وأنّه أيضًا أحدُ كتّاب خُطَب ٣ رؤساء جمهورية لأميركا و٦ وزراء خارجية؛ وأنّه كَتَبَ عن «كَسْر محور الشرّ الحقيقي وكيفية طردِ آخر ديكتاتوريي العالم من دون إطلاقِ رصاصةٍ واحدة»! وذَكَرتْ شُوهْ أيضًا أنّ أحدَ مُدراء «روح أميركا» هو نائبُ القائد العامّ للقيادة المركزية الأميركية في قاعدة ماكدلْ للطيران في فلوريدا، ويدير ميزانيةً تقدَّر بـ ٨،٢ مليار دولار، وهو الذي «اخترَعَ وطبَّقَ [نظريات] الحرب الكونية على الإرهاب، وعملية الحرية المستديمة، وعملية حرية العراق [!]»

طبعًا، علينا أن نذكِّر مَنْ نسي، أو تناسى، بأنّ كلَّ هذه العمليات والنظريات تأتي في إطار تمديننا وتحضيرنا لا غير، بما في ذلك دعمُ «ثورة الأرز» في لبنان و«ثورة الياسمين» في سوريا (وربّما ستُزْكَم أنوفُنا بالياسمين قريبًا). وكلُّها يَنْبغي أن تذكِّرنا ـ ككتّاب ومثقفين ـ بالرسالة التمدينية mission civilisatrice الاستشراقية المعروفة التي مَهدّت الأرضَ الفكريةَ لاستعمارنا... من أجل تخليصنا من تخلُّفنا.

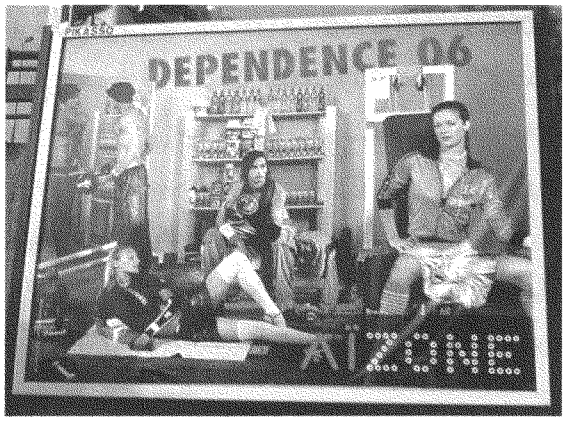

من «استقلال ٠٥» إلى «تبعية ٠٦»: سوريا برّا، وأهلاً بالاستهلاك!

II ـ انتفاضة الاستقلال ووكالاتُ الإعلان. في العدد ٦ / ٧ من العام ٢٠٠٥ كَتبتُ في الآداب مقالاً بعنوان «محرِّرو لبنان الجدد،» وأَوْردتُ فيه ما ذَكَره سكوت وِلْسون ودانيال ويليامز في صحيفة الواشنطن پوست (١٧ / ٥ / ٢٠٠٥) من أنّ شعار «الاستقلال ٠٥» (Independence 05) و«الفولار الأحمر والأبيض» ليسا من تصميم الشهيد د. سمير قصير وحدَه وإنّما تعاوَنَ على ذلك فريقٌ من خبراء الإعلانات «خارجَ نطاق عملهم» في شركات الإعلان. وأهمُّ أعضاء هذا الفريق السيِّد سعيد فرنسيس (من وكالة ساتشي آند

←

ساتشي)[1] ورودي كامل (من شركة كوانتومْ كوميُونيكايْشنْز الإعلانية هي الأخرى) ـ علماً أنّ كلتا الشركتيْن، على ما يقول مُراسلا الواشنطن پوست، تتمركزان في مبنًى واحدٍ في الأشرفية. وقد قَرَّ قرارُ الخبراء (مع الشهيد قصير) على اللونيْن، وكُلِّفت السيّدة نورا جنبلاط بصنع ٤٠ ألف فولار استقلالي. هذا، ولم يَرِدْ، في حدٍّ علمي، أيُّ نفيٍ لما ذَكَرتْه الصحيفةُ الأميركيةُ الواسعةُ الانتشار، ولا لما نقلتْه الآداب... الأقلُّ انتشاراً بقليل.

وطَويْتُ الموضوعَ، إلى أنْ فوجئتُ قبل شهريْن أو ثلاثة بإعلانٍ دعائيّ ضخمٍ في شوارع بيروت للملبوسات آيْزونْ (وهي الفرعُ المخصَّصُ للجيل الشابّ من ملبوسات آيْشتي)، يَحْمل شعار «Dependence 06» (تبعيّة ٠٦). وبدا أنّ الإعلانَ قد «زَيّن» تلك الشوارعَ بعدة صيغ: فثمة صيغةٌ تحدَّثَتْ عنها الآنسة عُلا عطايا[2] تُظْهر امرأتيْن تمارسان الإغراءَ، ورجلاً يَحْمل قَيْداً في يَده، وأرنبيْن يمارسان الجنسَ. وأبرزَ موقعُ BloggingBeirut.com صيغةً أخرى للإعلان نفسه: فتَحْتَ شعار «تبعية ٠٦» امرأةٌ منفرجةُ الساقيْن على كرسيّ، يتأمّلها شابٌّ ذو عضلات؛ وامرأةٌ أخرى منفرجةُ الساقيْن مستلقية؛ فضلاً عن رجلٍ عاري الجذْع يمارس رفعَ الأثقال أمامَ المرآة.

ما يَلْفتُ الانتباهَ في صيغتيْ إعلان آيزونْ ليس الإحالاتِ الجنسيةَ (وبعضُها، كالأرنبيْن، شائعٌ إلى حدِّ الابتذال وخالٍ من أيّ إبداع)، بل تبنّيهما شعاراً يذكّر بشعار Independence 05 بعد قَلْبه ليصبح: Dependence 06. وهذا ما يَدْفع بموقع BloggingBeirut.com إلى الأسى من الحال التي وَصَلْنا إليها: فبعد أنْ «حاربْنا في العام ٢٠٠٥ من أجل استقلالنا عن الاحتلال الأجنبي [أي السوري]، أتُرانا نصبح تابعين للنزعة الاستهلاكية في العام ٢٠٠٦؟». أمّا عطايا فتتّهم الإعلانَ الجديدَ بأنّه محاولةٌ واضحةٌ «لتشويه التجربة اللبنانية الفريدة من نوعها في انتفاضة الاستقلال،» وللزعم أنّ المساهمين في هذه الانتفاضة «ليسوا إلاّ أدواتٍ خاضعةً للتسطيح والفراغ الروحي والثقافي والإنساني.» وتَخْتم مقالَها بسؤالٍ يَحْمل شيئًا من الإجابة في ثناياه: «هل انتقلْنا من عهد الوصاية السورية إلى الوصاية الآيشتيّة؟»

قد تحتاج موضوعةُ «الفرادة» في التجربة الاستقلالية اللبنانية الجديدة مجالاً آخرَ أوسعَ من هذا (علمًا أنّ انتفاضة الاستقلال تذكّر كثيراً، في أسلوبها السلميّ وتكتيكاتها الإعلامية، بما حَدَث في جورجيا وأوكرانيا مثلاً). لكنّ الغريب أنّ أحداً من قادة ١٤ آذار، في حدّ علمي، لم يَكْتبْ ضدّ صيغتيْ إعلان آيْزون (وهناك صيغٌ أخرى على الأرجح)، أو يُصْدرْ بياناً منددًا، أو يُقاضِ المُعْلنين لتهكُّمهم على شعارِ الاستقلال الأول أو لاستغلالهم «للمناسبة الوطنية» (كما قالت عطايا). لربّما كانت تلك القياداتُ مشغولةً بأمورٍ أعظم، فكّرتُ. ولذا قمتُ ببحثٍ قصيرٍ، بمساعدة زميلتي كيرستن، فاتّضح لنا أنّ مصمِّم إعلان Dependence 06 (تبعية ٠٦) هو شركة H&C Leo Burnett. وقد أكّدَ ذلك لي شخصيّاً السيد ماهر عشّي من الشركة المذكورة، وذلك بتاريخ ٣ / ٢ / ٢٠٠٦، في رسالةٍ إلكترونيةٍ بالإنجليزية، مضيفًا بالحرف الواحد: «أمّا بخصوص [شعار]

---

١ ـ يَذْكر موقع Publicis، عند طلب المعلومات عن وكالة ساتشي آند ساتشي، أنّ فرنسيس هو «المديرُ الإبداعي» لمنطقة الشرق في الشركة creative director (Levant).

٢ ـ عُلا عطايا، «استقلال ٠٥ ـ تبعية ٠٦: تسويقٌ موسميّ أم مجرّدُ تهكّم؟» السفير، ١٦ / ١١ / ٢٠٠٥.

استقلال ٠٥ ، فليس لنا أيُّ ضلوعٍ فيه من أيِّ نوعٍ كان. بل الحقّ أنّ الإعلان السياسي ليس جزءاً من المهارات أو الخدمات التي نقدِّمها.»

غير أنّ المثير أنّ H&C Leo Burnett، وساتشي آند ساتشي، تابعتان لمجموعة واحدة هي مجموعة Publicis الفرنسية،[١] أو أنّ الأخيرتين اندمجتا منذ أعوام قليلة على ما يقول كَفِنْ روبرتس، المديرُ التنفيذيُّ العامّ لساتشي آند ساتشي.[٢] ولاستبعادِ أيّ نظريةٍ من نظريّات «المؤامرة،» فإنّ علينا أن نفترضَ أمريْن: ١) أنّ ساتشي في لبنان لا تَعْلم بما يقوم به «مديرُها الإبداعيُّ» سعيد فرنسيس من دعاياتٍ سياسيةٍ واضحة (كتصميم إعلان «استقلال٠٥») وإنْ خارجَ نطاقِ عمله كما تقول الواشنطن پوست. ٢) أنّ مجموعة Publicis لا تَعلمُ أو لا تمانعُ أن يَظْهرَ إعلانان متضاربان عن شركتيْن تابعتيْن لها (أو عن واحدةٍ تابعةٍ لها وأخرى مندمجةٍ بها).

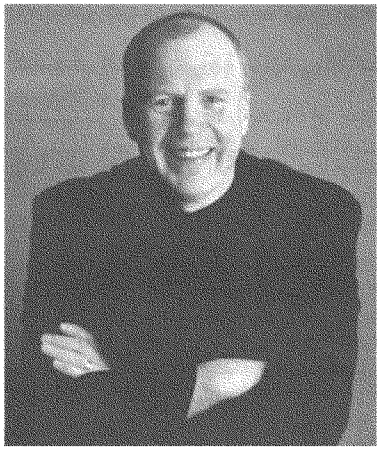

مدير ساتشي آند ساتشي: «حين يتحقّق الحبّ يُخْلص المرءُ للسلعة أيّاً كان ثمنُها!»

ولعشّاقِ «نظرية المؤامرة» نقدِّم الحقائقَ الإضافيةَ التالية:

١ ـ أنّ إيلي خوري، المديرَ التنفيذيَّ الأعلى لساتشي آند ساتشي في لبنان، هو شريكٌ في وكالة كوانتوم كوميونيكايْشنز التي سَبَقَ أن رأينا أحدَ أعضائها (رُودي كامل) ضِمْنَ الفريق الإعلاني العامل على تصميم شعارِ وفولارِ «انتفاضة الاستقلال،» وهي التي أَصدرتْ أيضاً مؤخّراً كتاباً مصوَّراً عن هذه الانتفاضة (نَشَرَتْه الزميلة دارُ النهار).

٢ ـ أنّ إيلي خوري هو «أفضلُ صديقٍ» للسيّد موفَّق حرب، مديرِ راديو «سَوا» وتلفزيونِ «الحرّة» التابعيْن للإدارة الأميركية تبعيةً مُطلقة.[٣]

٣ ـ أنّ ساتشي آند ساتشي في بيروت أَنتجتْ دعاياتٍ ترويجيةً لقناة «الحرّة» بمبلغ ١٢٥ ألف دولار أو أكثر لقاءَ «السپوت» الواحد، وأنّ كوانتوم كوميونيكايْشنز حَصَلَتْ على عقدٍ بـ ٥٠٠ ألف دولار في العام الماضي وحده لقاءَ «تنسيقٍ إنتاجيّ» (؟!) لستة برامج في لبنان ودولٍ أخرى.[٤]

على كلّ حال، أتركُ أَمْرَ دلالة هذه الروابط إلى بحثٍ آخر ريثما تَنْجلي معلوماتٌ مفصَّلةٌ عن نتائج التحقيق الذي تجريه «لجنةُ العلاقات الدولية في مجلس النوّاب الأميركي» مع موفّق حَرْب وغيره بتهمة إساءة استخدام أموالِ الدولة الأميركية وتبذيرِها (على ساتشي وكوانتوم و...).[٥] وأعود إلى تحليلِ شعاريْ «استقلال ٠٥» و«تبعية ٠٦» بغضّ النظرِ عن العلاقات بين الشركاتِ والأشخاصِ أعلاه، بل وبغضِّ النظرِ أيضاً عن علاقة (أو عدمِ علاقة) مُنْتجي الشعار الأول بالثاني.

١ ـ www.saatchi.com/worldwide/publics.asp.

٢ ـ مقابلة أجرتْها معه عليا ريْدان برادعي، www.saatchikevin.com/media/22-ArabAd-IAA_TopMarks.doc

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ Art Levine, "US: Bad Reception," **American Prospect**, Nov. 9, 2005.

إنّ ما يهمّ شركةً إعلانيةً ما ليس الأخلاقَ ولا السياسةَ (بالمعنى النبيل طبعًا)، بل ربطُ المستهلك بالسلعة. يقول المديرُ التنفيذي العامّ لشركة ساتشي آند ساتشي السيّد كَفِنْ روبرتس في هذا الصدد إنّ المهم ألاّ «يحترمَ» المستهلكُ السلعةَ فحسب بل أن «يحبّها» أيضًا، إذ حين يتحقق الحبُّ فإنّ المستهلكَ «سيُخْلصُ لتلك السلعة أيّاً كان ثمنُها.»[1] أما كيف يَنْشأ هذا الحبُّ، فإنّ الكلمةَ المفتاحَ لدى مدير ساتشي العامّ هي «الفكرة.» ولذلك فإنّه يعرِّف شركتَه بأنّها «شركةُ أفكار» an idea company، لا شركةُ إعلان. ويصبح السؤالُ الآن: من أين تأتي «الفكرةُ»؟

إنّ مصدرَ الفكرة «الملهمة» أو «المبدعة» (كما يَصِفها روبرتس نفسُه) كلمةٌ واحدة: «المحلّي» The local، أو «الجذور» The roots. فهو يقول في مقابلةٍ أُجريتْ معه عامَ ٢٠٠٢: «على المرء أن يبقى على تماسٍّ مع المحلّي، وعليه أن يبقى على تماسٍّ مع جذوره.» ومن هذا المنطلق، فإنّ اقتراحَ شعار «استقلال ٠٥» من قِبل فريقِ سعيد فرنسيس من ساتشي آند ساتشي (التي لا ريْب أنّ روبرتس يُلْهِمُها بأفكاره على اعتبارِ أنّه مديرُها العامّ) مبدِعٌ حقّاً. إذ ليس ثمةَ ما «يَحْترمه ويحبّه» اللبنانيون، ولا سيّما الشبابُ غيرُ المنتسب إلى أحزابٍ يساريةٍ وعلمانيةٍ وإسلاميةٍ وقومية، أكثر من الاستقلال عن سوريّة (نظامًا... وشعبًا عند البعض). إنّه شعارٌ بسيطٌ، قصيرٌ، برّاقٌ، رقْميّ digital (لاحِظ استخدام ٠٥)، وطنيّ (لاحِظ استخدامَ لونَيْ العلم اللبناني)، وشبابيّ (مَنْ منَ الشباب لا يَطْمحُ إلى شيءٍ من الاستقلال عن أهله؟)

المهمّ، تحقَّقَ «الاستقلالُ» أو بعضُه. وجاءت H&C Leo Burnett لتَبْني على نجاحِ الشعار السابق، ورهانُها ــ كما أرجِّح ــ هو التالي: إذا كان اللبنانيون يحبّون الاستقلالَ ويحترمونه، فإنّهم سيحترمون ويحبّون السلعةَ التي تَرْفعه شعاراً. ولكنْ لماذا لم تتبنَّ الشركةُ، في هذه الحال، شعارَ «استقلال ٠٦» بدلاً من «تبعية ٠٦»؟ قد يكونُ الجوابُ أنّه لا يحقّ لها ذلك قانونًا، إذا افترضْنا أنْ لا علاقةَ لساتشي كشركة بالشعار الاستقلالي الأوّل، وأنّ الأمر محصورٌ بـ«مديرها الإبداعيّ» وحده، مع أنّ مَوْقع Janes.com يؤكّد أنّ «المظاهرات المُبَهْرَجة [عامَ ٢٠٠٥] قد هُنْدستْ» على يد وكالة ساتشي آند ساتسي لا على يد أحد العاملين فيها فقط.[2] وربّما ظَنَّ منتجو الإعلان الجديد أنّ تبنّي شعار «تبعيّة ٠٦» (بدلاً من «استقلال ٠٦») سيَلْفتُ الأنظارَ ويُثيرُ التساؤلاتِ والتكهُّناتِ والفضولَ، بل لا مانعَ من أن يثير شيئًا من الاستنكارِ إنْ كان هذا سيرسِّخُ الإعلانَ في الأذهان... وطُزْ، في هذه الحال، على مشاعرِ الاستقلاليين!

في مُطْلَق الأحوال، فإنّ ما يخلِّفه في النفوس شعارُ «تبعية ٠٦» بعد «استقلال٠٥» (وبالخطّ الطِّباعي نفسه) هو أنّ الاستقلال عن سورية ممكنٌ، لكنّ الاستقلالَ عن «الحداثة» والموضة والجنس و«الحرية» والإغراء و«العصر» مستحيل. أكثر من ذلك، يوحي تتابُعُ الشعارَيْن وكأنّ الاستقلالَ عن سورية مقدِّمةٌ للانخراط في تبعيةٍ من نوعٍ آخر: إنّها تبعيةٌ محبَّبةٌ ومُشتهاةٌ، هذه المرةَ، لأنّها موجَّهةٌ إلى الغرائز والحسيّة والأزياء، التي هي قِمّةُ الحرية والإبداعِ في تفكير المُعْلنين الحداثيين. وهذا ما كان قد صرّح به روبرتس نفسُه في مقابلته المذكورة، حين حَثَّ المُعْلنين على استخدامِ «غرائزهم» و«مشاعرِهم» وعلى التركيز على الغموض mystery والحسّيّة

---

١ ــ مقابلة أجرتْها معه عليا ريْدان برادعي، مصدر مذكور.

٢ ــ الجدير ذكرُه أنّ موْقع Janes.com تابعٌ لمجلة Janes ذات المصداقيةِ العاليةِ في الأمور العسكرية.

sensuality والحميميّة intimacy. أمّا أن تَؤُولَ التبعيةُ (المحبّبةُ والمشتهاةُ) عامَ ٢٠٠٦ إلى نقلنا من وصاية مستبدٍّ شقيقٍ إلى وصاية سوقٍ غربيةٍ استهلاكية، فذلك ما لا تأبَهُ له Leo Burnett... بل ولا يحرّك فريقَ ١٤ آذار ـ يمينَه ويسارَه ـ كما يبدو.

III ـ مفرداتٌ مغيظةٌ سائدة. رغم أنّ الساحة اللبنانية تعجّ بمثقفين ومناضلين من التيارات القومية واليسارية والليبرالية والعَلْمانية، فإنّها مازالت تَسْتخدم كلماتٍ محدّدةً لتشير إلى دلالات مغايرةٍ لمعناها الأصلي.

أ ـ من هذه الكلمات، الصِّفة: «أَسْوَد.» فما زال جزءٌ كبيرٌ من التيارات السابقة يُطابقُ ما بين «الأَسْود» وكلِّ ما هو سيِّئٌ، ومُظْلِمٌ، وإرهابيٌّ، وغيرُ متحضِّر، ومخابراتيّ. خُذْ مثلاً مقالةً للمرشَّح الرئاسي شبلي الملاّط تتحدّث عن «القومية البيضاء» بديلاً من «القومية السوداء» (التي يُدْرِجُ ضِمْنها حزبَ البعث طبعًا، مَكْسرَ عصا الجميعِ اليومَ).[1] وحين احتججْتُ في رسالةٍ إلكترونيةٍ خاصة، ردّ الملاّط (وهو صديقٌ سابق) بما يُفيد بأنّ هذا الاستخدامَ شائعٌ وبريءٌ ولا يُقْصَدُ به أيُّ نزوعٍ عنصريّ. وأَذْكر أنّه ساقَ مثالاً ليُثْبتَ لي براءةَ العرب من العنصرية حين يَسْتخدمون صفةَ «الأَسْود» لنعتِ الشؤْمِ والسُّوء، فقال إنّ المصريين يردِّدون «يا خَبَر أسود» دون أن يتعمّدوا الإساءةَ إلى ذوي البشرة السوداء. وكان ردّي أنّ ذلك قد يكون صحيحًا (مع أنّ كثرةً من عامّة «البيض،» حتى لو لمْ يكونوا بيضًا شُقْرًا، تُظْهِرُ أو تُبْطِنُ شعوراً سلبيّاً تجاه السُّود)، ولكنّني أضفتُ أنّ على المثقّف ـ ولاسيّما مَنْ دَرَسَ في الجامعات الغربية (شأن الملاّط) ـ أن يُدْرِكَ الأذى الذي يَلْحق السُّودَ جرّاءَ مماهاة اللّوْن بالنعوت السلبية. أكثر من ذلك: إنّ إمعانَنا في المماهاة المذكورة يسيء إلى نضالنا الإنساني والقومي والأممي، وإلى رفاقٍ لنا في الأحزاب والقوى التقدُّمية العربية والعالمية، حتى لو لم نَقْصدْ ذلك.

وأثناءَ تصفّحي لكتيِّبٍ يَشْتمل على مقالاتٍ سبق أن نَشَرَها الشهيد سمير قصير في جريدة النهار، فوجئتُ بورود لفظَيْ «أسود» و«سوداء» تحقيراً في ثلاثة مواضعَ على الأقلّ («وجه أسود،» «صفحة سوداء،» «سمعة سوداء»). وفي الإطار نفسه تذكّرتُ كتابَ الرفيق نجاح واكيم الشهير، الأيادي السُّود، عن أخطاءِ وخطايا الطبقة السياسية اللبنانية الحاكمة وأتباعها. ولا بدّ أن نعود إلى هذا الموضوع، المهمّ والمغيظ، مرةً أخرى. ولكنْ حسبُنا الآن أن نُحذِّر من الاستخفاف به، إمّا بحجّة أنّ المسألة محضُ «لُغوية،» أو بحجّة أنّ العربَ أو المسلمين «نقيضُ العنصرية»... أبًا عن جدّ!

هناك حاخاماتٌ يهود يؤيِّدوننا تأييداً مطلقًا، فهل نشتمهم؟

ب ـ من المفردات التي نُسيء استخدامَها أيضًا، وأحيانًا عَمداً للأسف، كلمةُ «يهودي.» وعلى الرغم من أنّ موضوعةَ الفارق بين اليهودي والصهيوني قد أُنْهِكَتْ بحثًا، وعلى الرغم أيضًا من توالي المقابلات الفضائية العربية مع مثقفين يهود تقدُّميين (كنورمان فنكلْستين) بل وحاخاماتٍ يهودٍ معادين للصهيونية (ضمن حركة «ناطوري كارتا» مثلاً)، فما زال بعضُنا يهاجم اليهودَ ورجالَ الدين اليهود. وها هو الأستاذ شارل أيّوب

١ ـ نُشرت المقالةُ بالإنجليزية، وعادت جريدةُ النهار فنشرتْها قبلَ عدة شهور باللغة العربية.

(الذي لا ينفكُّ يقضُّ مضجعَ «السلطة» اللبنانية الحاكمة وإنْ لم يحالفْه التوفيقُ دائمًا في الدفاع عن النظام في سورية) يَشْتم الحاخامات اليهودَ على تلفزيون المنار (برنامج «حديث الساعة»)، وذلك في مَعْرض نَقْده لبعض الساسة اللبنانيين كما أَذْكر. الطريفُ (والمشجِّعُ حقّاً) أن يتدخَّلَ مقدِّمُ البرنامج، الزميل عماد مَرْمل، لإيضاح موقف المحطّة (التابعة لحزب اللّه) الذي «يميِّز بين اليهودية والصهيونية وإسرائيل.» فهل أصبح حزبُ اللّه، بسبب اهتمامه ربّما بإعطاء العالم صورةً جيّدةً عن نفسه، أكثرَ تقدُّميةً من «العَلْمانيين»؟!

وممّا يؤسف له في هذا الصدد أنّ الرفيق نجاح واكيم خَطَبَ في الذكرى السادسة لانطلاقة «حركة الشعب» (وكنتُ أحدَ مؤسِّسيها)، فدانَ «الضميرَ اليهوديَّ» (لا الإمبرياليَّ الأميركيَّ مثلاً) الذي يَرْضى «بموت مليونَيْ طفلٍ عراقيّ.» فهل يَنْسب الصديقُ العزيز أعمالَ مصعب الزرقاوي إلى «الضمير الإسلامي،» أوْ هل يعزو محاكمَ التفتيش القَرْوَسْطية أو جرائمَ الإمبريالية الأميركية إلى «الضمير المسيحي»؟ والغريب أن يَذْهب واكيم في إدانته لليهود حدَّ اعتبار العروبة نقيضًا لـ «التهويد» (لا للأسرلة أو الصهينة مثلاً)، وكأنْ لا يهودَ عربًا على وجه البسيطة ـ وبعضُهم قاتَلَ وناضَلَ في صفوف الحركة الوطنية في لبنان والوطنِ العربي (كأحمد صادق سعد في مصر، على سبيل المثال لا الحصر)!

ثم كيف نكون لاطائفيين، بل وعَلْمانيين، ونسبُّ اليهودَ؟ أليس اليهودُ طائفةً لا شعبًا؟ أوَلَيْست المماهاةُ بين الطائفة والشعب هو ما يَجْهَدُ الصهاينةُ في تأكيده دومًا ليَحْتكروا تمثيلَ اليهودِ في العالم وليبرِّروا استمرارَ إسرائيل «وطنًا قوميّاً للشعبِ اليهودي»؟

وأخيراً، قد يُكسبُنا خطابُنا ضدّ «اليهود» بعضَ التأييد والتصفيق والتّصفير في الداخل، ولكنّه بالتأكيد يؤْذي قضيةَ صراعنا ضدّ الصهيونية والعنصرية، ويُفْقدُنا حلفاءَ على مستوى العالم... هذا إنْ كنّا نتوقُ فعلاً إلى تجاوُزِ أُطُرِنا المحلية والإقليمية لنصبحَ جزءاً من الحركة العالمية المعادية للاستعمار والصهيونية والعولمة الرأسمالية.

ج ـ ثمة تعبيراتٌ نَسْتخدمها دون أن نعي أذاها، أو سلبيَّتَها، أو... غباوتَنا عند استعمالها. وهو أمرٌ يغيظني بشكلٍ خاصّ (إنْ كان يهمُّكُم الأمر). من هذه التعبيرات ما سمعتُه من إحدى العاملات في الحقل الوطني حين وَصفتْ حديثَ شخصيْن لم يُعجباها بأنّه «حَكي نِسْوان.» تصوّروا إلى أيّ مدًى بَلَغَ تذويتُ (أو استدخالُ) الدونيّة عند بعض النساء! أوْ تأمَّلْ وصفَ سياسيٍّ مثقّفٍ لجدلٍ بين فريقيْن بأنّه «حفلةُ زَجَل،» مع ما في ذلك من تحقيرٍ للشِّعر الشعبي قد لا يَقْصدُه ذلك السياسيُّ. أو تصوَّرْ أن يتبنّى مثقفٌ سياسيٌّ آخرُ تعبيرَ «حَكي جرائد» لوصفِ تحليلٍ لا يُعْتدُّ به أوْ يُحْسَبُ له حساب.

وبعد، فإنّني أَدْعو قرّاءَ الآداب إلى جَمْعِ ما أَمْكَنَ من هذه التعبيرات، حتى التي تَردُ في هذه المجلة قصداً أو عفواً، ممّا يُشْتَمُّ منه انتقاصٌ لجنسٍ (بشريّ أو أدبيّ)، أو فئةٍ اجتماعيةٍ، أو قوميةٍ، أو عِرْق. فلا تطوُّرَ حقيقيّاً لفكرِنا، ولا لواقعنا، مع استنقاعِ لغتنا ومفرداتنا.

IV ـ خاتمة. كنتُ قد كَتبتُ صفحاتٍ طويلةً أخرى تعقيباً عى مقالاتٍ ومواقفَ تُثير الغيظَ، مثل وصف الأستاذ بلال خبيز لعَلَمٍ لبنانيٍّ مرسومٍ على ثَدْيِ فتاةٍ متظاهرةٍ بأنّه «يتماهى مع ما يتحلّبُ من الثدي ومع الأفواه التي تقتاتُ بحليبه... [إنّ] كُلّ عاشقٍ سيلتقم هذا الثديَ بعدَ اليوم سيشتهي عَلَمًا ووطنًا ويغار عليهما...»[١]؛ أو كامتداحِ نائب رئيس حركة اليسار الديموقراطي الشهيدَ ياسر عرفات لكونه «أبًا» لأكثريةِ الفلسطينيين، دون أن يَفْطنَ ذلك المثقفُ اليساريُّ إلى استخدام لفظ «الأب» في معرض المدح![٢]

لكنْ طَغَتْ على الساعات الأخيرة قبل تسليمي هذه الافتتاحية القصيرة جدًّا أخبارُ ردود الفعل اللبنانية والإسلامية والعربية على الرسوم الكاريكاتورية التي طاولت النبيَّ العربيَّ محمّدًا، فوجَّهتُ ما تبقّى من الغَيْظ في نفسي تجاهها.

نعم، الصورُ مسيئةٌ للمؤمنين، بل ولكلِّ مَنْ يَحْترمُ عقائدَ الناس إنْ لم تَقْمعْ هذه العقائدُ حريّتَه هو في ممارسة قناعاتٍ مغايرة. ولكنْ، هل تستوجب تلك الصّورُ مقاطعةَ بلادٍ بأَكْملها؟ إذن، لماذا لم يُقاطِع المسلمون الولاياتِ المتحدةَ بسبب دَعْمها اليوميّ للعدو الصهيوني الذي يَغْتصب «مقدّساتٍ إسلاميةً» و«يدنّس» المسجدَ الأقصى وكنيسةَ القيامة؟

أليس إهانةً للفلسطينيين والعرب ما تَفْعله شركةُ نستله السويسرية مثلاً حين تشتري أكثرَ من ٥٠٪ من شركة «أوسم» الإسرائيلية، وتتبرّعُ بـ ٢٠ مليون دولار لـ«صندوق تعويضات المحرقة النازية،» في حين تَبْني مصانعَها على أنقاض بلدة «النَّجْد» الفلسطينية، فتَخْلق «وقائعَ جديدةً على الأرض» تُساهمُ في منعِ عودةِ السكّان الفلسطينيين الأصليين؟[٣]

أليس إهانةً لمشاعر المسلمين والعرب أن تَفْتتحَ بيرغر كينغ فرعًا لها في مستوطنة معالي أدوميم غيرِ الشرعية (بموجب القانون الدولي نفسه) في القدس المحتلّة؟[٤]

أيكون عمل المقاطعة الهام قد ذهب هباء، وانتصرت الفتوى وتلاعُب الأنظمة بالمقدّس؟

١ ـ ملحق النهار، ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٦.

٢ ـ زياد ماجد، النهار، ٣١ كانون الأول ٢٠٠٦.

٣ ـ حملة مقاطعة داعمي إسرائيل (لبنان). لمزيد من المعلومات عن منشورات المقاطعة التي تُصدرها الحملةُ المذكورة، راجع موقع الآداب الذي يستضيف الحملةَ مؤقتًا (www.adabmag.com)

٤ ـ Jewish Post of NY, April 2001.

أليس إهانةً لتلك المشاعر أن تموّل كوكاكولا برنامجًا يُتيح السفرَ للشباب اليهود إلى «أرضِ الميعاد» لاكتشاف «جذورهم؟»[١]

أليس إهانةً لنا أن تمنحَ فيليب موريس (التي تُنتجُ سجائرَ مارلبورو وميريت وكَنْت...) السفّاحَ إسحق رابين، كاسرَ عظامِ أطفال الانتفاضة الفلسطينية، «جائزةَ الحرية الوطنية لدوره كمحارب من أجل الحريّة»؟[٢]

ومع ذلك، ورغم معرفة كثير من العرب والمسلمين لهذه المعلومات، فإنّهم مازالوا يُقْبلُون على شراء هذه السِّلع. أتكون فلسطينُ، في هذه الحال، رخيصةً على المسلمين والعرب؟ أمْ أنّنا «استوطَنّا» حائطَ الدانماركيين والنروجيين وحدهم؟ أمْ أنّ الإسلامَ لا يُهان إلاّ بإهانةِ أهمِّ رمزٍ فيه دون غيرِه، كالأقصى مثلاً؟

إلامَ نواصلُ ردودَ الأفعال السريعةَ والعفويةَ، التي لا تنصبّ في هدفٍ منسَّقٍ واحدٍ اسمُه: مقاطعةُ الشركاتِ الداعمةِ لإسرائيل ولاحتلالِ العراق؟ وكيف يُصبح تفانينا في خدمة القضية الوطنية والقومية كتفانينا في الدفاع عن مقدَّساتنا الدينية؟

ومتى نستطيع أن نميِّز بين نظام يمارس الظلمَ والإهانةَ ودعمَ أعدائنا، وبين شعبٍ لا يوافق كثيرٌ من أفراده على ما يجري ضدّنا؟ أنسينا أنّ كثيراً من الدانماركيين والنروجيين يناصرون قضيّتنا، ويَدْعمون مشروعاتٍ فلسطينيةً على نحوٍ يفوق ما يَفْعله أكثرُ البلدان الغربية؟ أندري أنّ في هذيْن البلديْن واحدةً من أنشط الحركات الداعية إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية؟ أيكون من مصلحتنا الوطنية والقومية أن نأخذَ هؤلاء الناشطين بجريرةِ رسّامٍ أحمق، أو رئيسِ وزراء عديمِ الإحساس؟ وإذا قرّرنا فعلاً أن نقاطع الشركات الدانمركية، فلماذا لا نقاطع تلك التي تَدْعم دولةَ إسرائيل تحديداً؟

وإلامَ نَسْمحُ للأنظمة ورجالِ الدين والأحزاب أن تسيِّرَنا، بدلاً من أن نتفقّه نحن أيضًا في أمورِ دنيانا؟ ألم تلاحظوا أنّ أكثرَنا لا يَعْرفُ ما تتضمّنه تلك الرسومُ الكاريكاتوريةُ التي نُشرتْ ـ ويا لَلْفضيحة ـ قبل أكثر من خمسةِ أشهر كاملة دون أن نَعْلم بها إلاّ الآن؟

ألا يَعْلم المتظاهرون أنّ هذه الرسوم المسيئة (التي ظهرتْ في جريدة ضعيفة الانتشار) عادت فَظَهرتْ في جرائد بريطانية وأميركية وسويسرية وفرنسيّة أوسع انتشاراً بكثير؟ فلماذا لم يُحْرقوا كلَّ القناصلِ والسفارات، إذن؟ لماذا لم يُحرقوا العالَمَ كلَّه دفعًا للإهانة؟ ألا يُدركُ المتظاهرون الذين أحرقوا السفارةَ الدانمركيةَ في بيروت وفي دمشق أنّ هناك مقالاتٍ تُكتب يوميّاً في الغرب ضدّ الإسلام والنبيّ واللّه نفسه، وهي تَفُوق عنصريةً وإهانةً ما تُظْهره تلك الرسومُ السخيفة؟ أم أنّ الصورة باتت تُهينُنا أكثرَ من الكلمة، نحن شَعْبَ ﴿اقْرأْ﴾؟

وأخيراً، أيكون كلُّ عملِ المقاطعة التوثيقي الهامّ قد ذَهَبَ هباءً منثوراً، وانتصرتِ الفتوى... وانتصَرَ معها تلاعُبُ الأنظمة والحركاتِ السياسية بالمقدَّس؟

... وللغيظ تتمة.

سماح إدريس
بيروت

---

١ ـ www.shalomathanta.org/content_diplay.html.

٢ ـ www.mecca.org/_crights/cofbooks2.html.